



لم يشد قائد وزعيم جيش الإسلام في سوريا عن قانون عام تخضع له الأنظمة والأجهزة الاستخبارية حين تتعامل مع حياة قادة الحركات والقوى الإسلامية، وإن شئت فزد عليها، القادة التأثيريين عموماً، لاسيما من يمكن تصنيفهم كقادة راديكاليين، بالمصطلح الغربي. لا تلجم الدول المعادية للحركات الإسلامية لسلاح الاغتيال إلا حالما تجده خياراً وحيداً لحل مشاكلها مع الأعداء، وتفضل كثيراً التعامل مع عدو معروف، وقيادة تمت دراستها جيداً، وتمكنـت تلك الدول، وأجهزتها الاستخبارية تحديداً من توقع تصرفاتها، وتكوين خبرة كافية لمفاتيح التعامل معها، وربما القدرة على التأثير عليها. لماذا "اغتالوا" زهران علوش؟ لماذا اغتالوا فتحي الشقاقي، أحمد ياسين، الرنتيسي، حسان عبود، خطاب.. أيضاً لماذا اغتالوا خليل الوزير، عرفات، رفيق الحريري؟.. الخ

الأهداف ليست واحدة، لكنها محصورة لحد بعيد..

يغتالون لأنهم يريدون تغليب تيار داخل تلك القوة التي يتزعمها المغدور على آخر.. يغتالون صقرأً من أجل تغليب الحمائم، إذ تفرض المرحلة أن يحصل نوع من التسوية السياسية، أو بالأحرى، يريدون احتواء هذه القوة وتدجينها، سواء عبر خلف مريب أم ضعيف.

أو يريدون تغليب الصقور على الحمائم، فيغتالون قيادة هادئة حكيمة ليندفع خلفه المعروف سلفاً نحو التهور والانتهار السياسي أو العسكري.

أو يرغبون في زرع الشفاق بين الفصيل الواحد بفقدانه أهم مدماك يضبط بناءه التنظيمي أو الفكري؛ فتشعب بالبقية الأهواه. يغتالون هدفهم لأنه صاحب كاريزما يصعب تعويضها، أو لقطع خيوط اتصالات ودعم وامتداد نسجها وحده تقوى حركته وتغيب بغيابه. أو يغتالونه لكسر شوكة قوة دولية أو إقليمية تحالف مع فصيله.

زهران علوش (رحمه الله)، شخصية فذة كانت تتمتع بكاريزما عالية، حتى من دون أن يفتح فيه، له هيبة كبيرة إن جاء أو ارتحل، من شاهده عن قرب يدرك أن قامته فوق قامته بكثير، متحدث لبق، آسر، يجيد اختيار كلماته مثلما يجيد اختيار حراسته.. لهذا سبب أكيد في اغتياله، لكن مرونته السياسية الأخيرة ونزعه إلى توسيع نطاق تحالفاته الداخلية والخارجية، ونأيه بجيشه عن الدخول في تحالفات تضعف من قدرته التفاوضية، وادخاره لقوة تعد الثانية في سوريا الثورة لمرحلة الجسم، جعلته هدفاً لمرحلة يراد لها حسماً على غير مراده.

من المبكر تحديد هدف القتلة بدقة، لاسيما أن الحالة السورية بعد سائلة، ومفتوحة على احتمالات، أيضاً من المبكر الحكم على جدو اغتيال علوش؛ فحين اغتيل يحيى عياش أو الرنتيسي أو ياسين في فلسطين توقع كثيرون تراجع حماس لكنها الآن أقوى بكثير، لكن حين اغتيل محمد السعيد وعبدالرازق رجام في الجزائر كان ذلك مؤذناً بتوسيع الجماعة الإسلامية المسلحة، شبيهة داعش، التي أنشأها الاستخبارات الجزائرية لوأد الحركة الإسلامية في الجزائر، وقد كادت. فرحت روسيا وإيران ونظام بشار وداعش باغتيال علوش، لكن الرجل قد غادر الدنيا بعد أن أسس سرية فلواء فجيش يضم عشرات الآلاف ويحتفظ بتسليح جيد نسبياً، وترتبط قواته على بعد أميال من قلب العاصمة السورية؛ فجيش علوش ليس الأكبر من بين فصائل الثورة لكنه الأخطر بالنسبة لأعدائه.

اغتيل علوش أخيراً، والدواعش الآمنون في تحركاتهم يتهمونه بالمرور إلى تركيا تحت سمع النظام وبصره، وكان البعض يتحدث عن غموضه في عدم إشغال جبهة الغوطة كما ينبغي، أو كما يقدرون هذا. ولقد قيل إنهم قد قتلوا قادة أحرار الشام واستيقوه؛ فإذا هم فقط قد سبقوه.

يحسب لمعظم قادة الفصائل "الإسلامية" أن أعداءهم يلجؤون إلى تصفيتهم كآخر خيار متاح.. لا نزكي أحداً، لكن قد نرى أن مثل هؤلاء الكبار لا محل لهم من الإعراب في الحالة العربية، ولا ينبغي لهم إلا أن يكونوا تحت الثرى في معايير أهل الأرض، أو في حوابل طير خضر - نحسبيهم كذلك - في معايير السماء. لم نسمع يوماً عن اغتيال آخرين غيرهم إلا في حالات نادرة؛ فلم يسمعنا عن قادة تيارات علمانية قد قصفتهم الطائرات المغيرة؟!

كان للثورة السورية توقعات مهمة مع اغتيال عبد القادر الصالح قائد لواء التوحيد في 18 نوفمبر 2013 فاتح حلب ثم اغتيال حسان عبود قائد حركة أحرار الشام أكبر حركات الثورة السورية على الإطلاق في 19 سبتمبر 2014 مع 45 من قادة الحركة، ثم في 26 ديسمبر 2015 اغتيل علوش مع عدد من قيادات جيش الإسلام، والجميع قد تم اغتياله أثناء اجتماعات قيادية سرية تسربت معلومات عنها لأجهزة النظام وغيره.

يجمع بين الثلاثة سير متقاربة، خلفية شرعية، عمل دعوي وخيري قبل الثورة، كاريزما خاصة، إدارة فصائل كبيرة العدد، إنجازات عسكرية ملموسة، ومناطق استراتيجية تسيطر فصائلهم عليها، اغتيال الصالح إثر نجاح لافت للواء التوحيد في معارك حلب وإعزاز، وإثر تحول قد طرأ على الساحة الإقليمية بعد انتكاس "الربيع العربي"، والبدء في التحالف الإقليمي ضده، وأغتيل عبود بعد شهرين من إعلان البغدادي ما يقول إنها "الخلافة الإسلامية"، وبعد اتخاذ المناطق التي تسيطر عليها حركة أحرار الشام هدفاً له، وأغتيل زهران علوش على إثر اجتماع الرياض لفصائل "الثورة السورية" والذي وقع على بيانه

وفد جيش الإسلام، وبعد ثلاثة شهور من الاحتلال الروسي لسوريا واندفاعها العسكري خشية سقوط دمشق - بحسب تأكيدات دوائر غربية - وعقب تنسيق عالي المستوى بين روسيا والكيان الصهيوني (المتمرد بالاغتيالات شأنه شأن الإيرانيين) الذي لا تبعد قوات علوش كثيراً عنه. وهي توقعات مهمة للغاية.

غاب المؤسسون البارزون الآن عن فصائل الثورة السورية الرئيسية، لكن مع هذا؛ فإن إرثاً تركوه لا يسهل تجاهله أو توقع سهولة توجيهه خارجياً؛ فنحو مائة وخمسين ألفاً من حملة العقيدة والسلاح معاً في سوريا، بحسب تقديرات شبه متطابقة، ليس بمقدور جهة توجيههم، حتى لو افترض جدلاً أن خلفاء قادتهم سوف يغيرون دفة سفينتهم، لأن السيولة التي قد تحرك انتماءاتهم تبعاً لقناعاتهم الراسخة نوعاً ما تعد عنصراً ليس لعاقل أن يتجاهله في مستقبل سوريا ومحيطها.

مازق كالمأزق الدولي في ليبيا يصعب فك طلاسمه لدى اللاعبين الدوليين، لن يحله تغييب شخصية كبيرة ولو كانت بحجم زهران علوش، رحمة الله.

المسلم

المصادر: